عهد الإمام فيصل الجديد المديد

١٢٥٩ ـ ١٢٨٢ هـ

«قيل إن العباس مهد للمنفيِّ درباً يحفُّه الإعجابُ
شام في صدره فؤاداً يشعُ الفهم منه فتلقح الألبابُ
رب خصمٍ يجلُّ في خصمه الشهم نبوغاً لهم يستبنه الصحابُ . . »

ـ بولس سلامة ـ

ملحمة عيد الرياض

عودة الإمام فيصل من مصر
واستعادة ملكه واستمرار سلطته

الإمام فيصل في مصر

يقول ابن بشر أن الإمام وصل إلى مصر ومعه أخوه جلوي وابن أخيه عبد الله ابن إبراهيم بن عبد الله، وأولاده عبد الله ومحمد، وأن المصريين أنزلوه في بيت «وجعلوا عنده حراساً يحفظونه، وصار في مكانه ذلك يحيى غالب الليل بالتهجد والصلاة، وفي نهاره بين الصلاة وتلاوة القرآن.

وكان يتردد عليه أهل مصر إذا كان في أحد منهم ألم أو حمّى أو غير ذلك، يأتون يقرأ عليهم، وكانوا يرون أثر الشفاء من قراءاته ودعائه، ومن أجل ذلك ازداد عندهم تكريماً وتعظيماً».

ويزعم محقق طبعة ابن بشر الجديدة، أن فيصلاً لم ينزل في دار أعدت له، وإنما وضع في سجن القلعة، فور وصوله. .

وهذه التخطئة غير صحيحة، فالإمام فيصل أقام فعلاً في منزل بالقاهرة، أحاطه محمد علي بالحراسة، ولكن كثرة زوار الإمام ومواعظه لهم وتحدث الناس بما يسمعون، حملت (محمد علي) على نقله إلى سجن القلعة.

حــوادث سنــــة ١٢٥٩ هـ

كيف هرب الإمام فيصل من سجنه بمصر؟

نقض رواية ابن بشر

يقول ابن بشر، في أخبار سنة ١٢٥٩ هـ:

«وفي أول هذه السنة نزل الإمام فيصل من حبسه بحبال، ونزل معه أخوه جلوي، وابن عمه عبد الله بن إبراهيم، وابنه عبد الله، وكانت العساكر رصداً عليهم في مدخلهم ومخرجهم، والفرجة التي نزلوا معها عن الأرض أكثر من سبعين ذراعاً، فحفظهم الله تعالى أن وصلوا إلى الأرض من غير مكروه، وإذا هم قد واعدوا ركايب تحتهم فركبوها، وذلك في الليل، فساروا إلى جبل شمر».

نقـض رواية ابن بشر:

يبدو لنا أن رواية ابن بشر لهرب الإمام فيصل بتدبيره الخاص.. غير منطقية، فليس سهلاً الهرب من القلعة ومن مصر.. دون مواطأة مع مسؤولين كبار.

ولذلك نرجح رواية زيني دحلان في كتابه: خلاصة الكلام في تاريخ الحجار، حيث يقول: «صار أمر نجد لعبد الله بن ثنيان، فلما بلغ الخبر فيصل بن تركي صار يدبِّر أمر هربه ليصل إلى نجد وينزع الملك من ابن ثنيان.

فسهل الله له ذلك، بإعانة عباس باشا بن طوسون باشا بن محمد علي باشا، وكان الأمر في ذلك الوقت لمحمد علي ولابنه إبراهيم، وليس لعباس شيء من الأمر، إلا أنه كان محبباً عند جده محمد علي ومسموع الكلمة عند رجال دولته.

وكان يجتمع كثيراً بفيصل بن تركي وهو محبوس، فقال له فيصل يوماً: إن نجداً صارت بيد «عبد الله بن ثنيان»، فلو أتخلص من الحبس وأصل إلى نجد. أنتزع الملك منه إن شاء الله تعالى، وأصير خادماً لأفندينا تحت أمره.

فوعده عباس باشا أن يدبِّر له هذا الأمر، وأمره بكتمانه.

ثم بعد أيام، أحضر له ركائب وخيلاً ووضعها بموضع بعيد عن القاهرة، واحتال في إخراجه من القلعة المحبوس بها بمواطأة مع البواب سراً، فخرج في ليله ووصل إلى المواضع التي فيها الركائب والخيل، هو وبعض أتباعه، وركبوها وتوجهوا إلى نجد.

وبعد يومين بلغ خبر هروبه إبراهيم باشا، فأركب كثيراً من العسكر يسيرون خلفه ليدركوه، وكان ممن ركب معهم عباس باشا. . فساروا يومين ولم يدركوه ورجعوا».

هل جاء الإمام فيصل إلى الشام؟:

يقول الأمير شكيب أرسلان في كتابه: (حاضر العالم الإسلامي) إن فيصل بن تركي: «جاء إلى الشام، ينافث علماء الحنابلة، وظهر منه أنه أقلع عن الإمارة وزهد في الحكم، إلا أن النجديين عادوا فانتدبوا للأمر، فعاد».

ويقول الأب لويس شيخو في مقال نشره في مجلة (المشرق) اليسوعية البيروتية سنة ١٩٢٠ م: «إن فيصلاً بن تركي، بعد هزيمته، اضطر للفرار إلى الأحساء، ثم تنكر وحج إلى مكة، وساح في بلاد الشام، وقرر مذهبه الوهابي بصحبة الحنبليين، ثم عاد إلى نجد يترقب الفرصة لاستعادة أمارته».

فيصل يصل جبل شمر فينصره أميرها بكل قوته ويرسل كتباً إلى جميع بلدان نجد يدعوهم إلى الالتفاف حوله

موقف ابن ثنيان:

يقول ابن بشر إن ابن ثنيان عرف بأمر المراسلات التي يقوم بها الإمام فيصل، فأراد استدراجه للمجيء إلى الرياض حتى يتمكن من التغلب عليه، ولذلك أرسل إليه هدية مع أمير ضرمى، وطلب منه القدوم عليه، فقام فيصل يجهز نفسه للخروج إلى الرياض ولكن ابن ثنيان رحل إلى سدير، حيث وافاه رسل عبد العزيز بن محمد رئيس بريدة يستدعونه إليه وأعطاه العهود والمواثيق إنك تقبل إلينا ونحن لك سامعون ومطيعون ومعك محاربون.

فلما نزل ابن ثنيان بلد المجمعة، وافاه رجل من عبد العزيز يستحثه ويعجله لأنه بلغه أن (فيصل) رحل من الجبل ونزل (الكهفة) الماء المعروف، فرحل من

المعجمة وقصد بلد بريدة ونزل خارجها، فخرج إليه عبد العزيز وبايعه، فلما سمع بذلك رئيس عنيزة عبد الله بن سليمان بن زامل، تشاور في هذا الأمر، وكان فيهم الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين وابنه عبد العزيز، فغلب الرأي أنهم يرسلون عبد العزيز بن الشيخ عبد الله إلى فيصل ويبايعه لهم ويقبل به إليهم، فركب عبد العزيز في رجال معه، فألفى عليه في الكهفة وذكر له أن يرحل معه إلى بلد عنيزة منصوراً ومسروراً، فعزم فيصل على المسير، فرحل من مكانه وقصد عنيزة، وجهز أخاه جلوي، ومعه عبيد بن رشيد في مائة رجل، وأمرهم يقصد محمد بن فيصل الدويش وعربانه وينزلون معهم، وكانوا في أرض الحمادة، وكان الدويش قد حصل بينه وبين ابن ثنيان مخالفة لما أرسل إليه ابنه شقير، وهو في أرض الحسي الماء المعروف، فنزل إليه عبيد وجلوي، ونزلوا معه، وقصد فيصل بلد عنيزة ومعه عبد الله بن رشيد ورجال من قومه، وعبد العزيز بن الشيخ ورجال معه، فلما بلغ ابن ثنيان رحيلهم من مكانهم وإقبالهم إلى عنيزة نهض بجنوده من بريدة وترك مخيمه وأثقاله، ورصد لهم على طريقتهم فعمي عليهم الخبر، وكفى الله الشر.

وصار فيصل على غير موعدهم مرصدهم ودخل عنيزة آخر الليل، فلم يفجأ عبد الله بن ثنيان وجنوده إلا ضرب البنادق في البلد والعرضات، فعلم أن الأمر فاته، فانثنى عزمه ورجع إلى مخيمه ورشد من قومه رجال من رؤساء أهل الجنوب وأهل سدير وغيرهم، وقصدوا فيصلاً في عنيزة، فلما وصل عبد الله بن ثنيان بريدة أمر بالرحيل، وذكر لجنوده أنه يريد عنيزة محارباً، فرحل وقصد بلد المذنب منهزماً إلى الرياض، وخاف من جلوي وأتباعه والدويش وعربانه يغيرون على قومه في طريقهم، فانهزم وواصل الليل بالنهار، فلما علم الدويش وأتباعه بذلك وهم نازلون أسفل بلد الغاط، فزعوا عليهم وشدوا على الصعب والذلول وركبوا الخيل، وشنوا عليهم الغارات فلم يلحقوهم إلا في أرض الوشم، وقد تعبت خيلهم وركابهم فلم يأخذوا منهم إلا القليل، فلما وصل الوشم تفرقت جنوده وقصد أهل النواحي بلدانهم، وهو قصد الرياض ودخله . . وفرق السلاح والأموال، وهدم البيوت التي حول القصر، وأدخل فيه جميع آلات الحرب والحصار، ورتب البلاد ومرابيعها، ورتب في كل موضع رجالاً وأمراء عليهم.

فيصل في عنيزة وغيرها:

لما عاد ابن ثنيان إلى الرياض، رحل عبيد بن رشيد وجلوي وأتباعه وقصدوا

بلد ثادق ونزلوه ورحل الدويش ونزل قصور ثادق، وأرسلوا إلى فيصل يستحثونه بالمسير والإقبال، وأرسلوا عبد الله بن إبراهيم، ابن عم فيصل، إلى سدير يدعوهم إلى المتابعة والمسير معهم، فوصل عبد الله المجمعة وأمرهم بالمسير، فركب الأمراء، والغزو الذي قفل مع ابن ثنيان، وسار معه.

وأما فيصل فإنه لما استقر في عنيزة وبايعه أهلها، ووفد عليه رجال من بلدان القصيم ورؤساء العربان، أجمع أمره على الرحيل من عنيزة في أول ربيع الأول، وقصد الوشم، ومعه أمير عنيزة عبد الله بن سليمان، واستنفر أهل بلده، فسار فيصل في نحو مائتي مطية ونزل بلد شقرا فبايعه أهلها وأهل الوشم، ثم رحل منها وركب معه أمراء سدير وغزوهم، واجتمع به أخوه وابن عمه وأتباعهم، ووفد عليه رؤساء العربان من السهول والعجمان وسبيع وغيرهم.

دعوة ابن ثنيان إلى المصالحة:

وكتب فيصل إلى ابن ثنيان يدعوه إلى المصالحة والمسالمة وحقن دماء المسلمين، وإنه يخرج من الرياض بما عنده من الخيل والركاب والسلاح والأموال والرجال، وليس له معارض، وينزل أي بلد يشاء في نجد أو غيرها، وله مع ذلك من الخراج كل سنة ما يكفيه، فأبى ذلك ولم يرضَ إلا الحرب.

فيصل يتجهز لدخول الرياض:

لما فشلت محاولة الصلح مع ابن ثنيان، رحل فيصل من بلد حريملاء، ورحل معه أميرها حمد بن مبارك والشيخ محمد بن مقرن وقصد بلد سدوس ونزله، وكتب إلى أمير منفوحة سليمان بن إبراهيم بن سعيد يطلبه للمتابعة والنزول عنده، فوافقه على ما أراد، فرحل فيصل من سدوس وقصد منفوحة، ونزل الدودية، وهي منزله وقت محاصرته خالداً في الرياض، فأقام فيها أياماً ولم يقع بينه وبين أهل الرياض حرب ولا قتال، بل كل منهم في موضعه للحرب، والرسل بينه وبين أناس من رؤساء الرياض خفية.

محاصرة الرياض واقتحامها:

فلما كانت ليلة الخميس، لست بقين من ربيع الثاني، جهز فيصل رجالاً من شجعان قومه مع أخيه جلوي، وأمرهم أن يدخلوا البلد، وذلك بممالأة من

رؤسائها، فأقبل جلوي ومن معه ودخل من باب دخنة وفتحوه له.

وكان ابن ثنيان يخرج من القصر برجال معه ويدور في البلد على أهل المرابيع، فلما بلغه دخول هؤلاء انصرف إلى القصر واحتصر فيه.

فلما دخل جلوي وأصحابه قصدوا البيوت التي تجاور القصر، فلما ثار منهم الرمي ووقع فدخلوا في بيت مساعد بن تركي وبيت ابن دغيثر، وتلك البيوت التي تقابل القصر، فلما ثار منهم الرمي، ووقع، أغلق ابن ثنيان القصر عليه وأصحابه، ثم سدوه بالتراب.

ثم دخل الإمام فيصل ونزل بيت مشاري بن عبد الرحمن، وجعل في بيت ثنيان أهل الحريق مع رئيسهم الهزاني، وفي بيت الشيخ عبد الله بن نصير أهل القويعية.

وقدم على فيصل أمراء البلدان ورؤساء العربان، فقدم عليه أهل الخرج وأهل الفرع ومعهم الشيخ عبد الرحمن بن حسن.

هذا وجنود فيصل من شمر وكثير العربان خارج البلد، وليس في البلد إلا المقاتلة من أهل العارض. وقدم عليه في أثناء الحصار رؤساء سبيع، وذكر لي أن رجالاً منهم هموا بالغدر بفيصل، وتفريق هذه الجماعات، ففطن لهم وأبطل كيدهم.

ابن ثنيان يطلب الصلح:

ثم إن عبد الله بن ثنيان أرسل إلى عبيد بن رشيد يطلب المصالحة، فأتى إليه عبيد، وحصل بينه وبين فيصل مراجعة جواب على يد عبيد، فلم يتفق بينهم حال.

أسـر ابن ثنيان:

ثم إن الله سبحانه لما أراد أن يمضي قضاءه وقدره، خرج ابن ثنيان من القصر بالليل فوافاه رجال فأمسكوه، وأتوا به فيصلاً، فأخذ سلاحه وحبسه.

أخذ القصر عنوة والعفو:

وأخذ القصر عنوة وسلم الرجال الذين فيه، وعفا عنهم.

وأخذ جميع أموال ابن ثنيان وخيله وسلاحه، وصار محبوساً في بيت من بيوت القصر وجعل عنده حرساً يحفظونه.

وأطلق المحابيس الذين حبسهم ابن ثنيان، وأعطاهم ما وجدوا من أموالهم. ونزل فيصل القصر، وبايعه المسلمون واستقامت الأمور وزالت الشرور، وأذن لمن معه من غزو النواحي يرجعوا إلى بلدانهم، وأمر عبد الله بن بتال المطيري في رجال معه يركب إلى الأحساء أميراً وأقرّ كل أمير في بلده.

وفاة ابن ثنيان:

وفي منتصف جمادى الآخرة، يوم الجمعة، توفي عبد الله بن ثنيان في الحبس، وجهزه الإمام وصلى عليه المسلمون، وسار مع جنازته، ودفن في مقبرة الرياض.